عروة بن حزام

عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة.توفي في وادي القرى قرب المدينة عام 650 م

عروة بن حزام
توفي 650 م

عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة.

شاعر من متيّمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه.

ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها.

فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة)..

وقد جاء ذكر عروة بن حزام في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني:

" أنه كان من حديث عروة بن حزام وعفراء بنت عقال: أن حزاماً هلك وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمه عقال بن مهاصر. وكانت عفراء تربا لعروة، يلعبان جميعاً، ويكونان معاً، حتى ألف كل واحد منهما صاحبه إلفاً شديداً. وكان عقال يقول لعروة، لما يرى من إلفهما: أبشر، فإن عفراء امرأتك ، إن شاء الله. فكانا كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء، ولحق عروة بالرجال، فأتى عروة عمةً يقال لها: هند بنت مهاصر، فشكا إليها ما به من حب عفراء ، وقال لها بعض ما يقول لها: يا عمة، إني لأكلمك وأنا منك مستح ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما أنا فيه، فذهبت عمته إلى أخيها فقالت له : يا أخي، قد أتيتك في حاجة أحب أن تحسن فيها الرد ، فإن الله يأجرك بصلة رحمك فيما أسألك. فقال لها: قولي، فلن تسألي حاجة إلا رددتك بها. قالت: تزوج عروة بن أخيك بابنتك عفراء، فقال: ما عنه مذهب، ولا هو دون رجل يرغب فيه ، ولا بنا عنه رغبة، ولكنه ليس بذي مال، وليست عليه عجلة. فطابت نفس عروة، وسكن بعض السكون.

وكانت أمها سيئة الرأي فيه، تريد لابنتها ذا مال ووفر، وكانت عرضة ذلك كمالاً وجمالاً، فلما تكاملت سنه وبلغ أشده عرف أن رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها، فأتى عمه، فقال: يا عم، قد عرفت حقي وقرابتي، وإني ولدك وربيت في حجرك، وقد بلغني أن رجلاً يخطب عفراء، فإن أسعفته بطلبته قتلتني وسفكت دمي، فأنشدك الله ورحمي وحقي، فرق له وقال له : يا بني، أنت معدم، وحالنا قريبة من حالك، ولست مخرجها إلى سواك، وأمها قد أبت أن تزوجها إلا بمهر غال، فاضطرب واسترزق الله تعالى .

فجاء إلى أمها فألطفها وداراها، فأبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر، وبعد أن يسوق شطره إليها، فوعدها بذلك.

وعلم أنه لا ينفعه قرابة ولا غيرها إلا بالمال الذي يطلبونه ، فعمل على قصد ابن عم له موسر كان مقيماً باليمن ، فجاء إلى عمه وامرأته فأخبرهما بعزمه، فصوباه ووعداه ألا يحدثا حدثاً حتى يعود.

وصار في ليلة رحيله إلى عفراء، فجلس عندها ليلة هو وجواري الحي ، يتحدثون حتى أصبحوا ، ثم ودعها وودع الحي وشد على راحلته، وصحبه في طريقه فتيان من بني هلال بن عامر كانا يألفانه ، وكان حياهم متجاورين، وكان في طول سفره ساهياً يكلمانه فلا يفهم، فكرةً في عفراء ، حتى يرد القول عليه مراراً، حتى قدم على ابن عمه، فلقيه وعرفه حاله وما قدم له، فوصله وكساه، وأعطاه مائة من الإبل، فانصرف بها إلى أهله.

وقد كان رجل من أهل الشام من أسباب بني أمية نزل في حي عفراء، فنحر ووهب وأطعم ، وكان ذا مال عظيم ، فرأى عفراء، وكان منزله قريباً من منزلهم، فأعجبته وخطبها إلى أبيها، فاعتذر إليه وقال: قد سميتها إلى ابن أخ لي يعدلها عندي، وما إليها لغيره سبيل ، فقال له: إني أرغبك في المهر، قال: لا حاجة لي بذلك ، فعدل إلى أمها، فوافق عندها قبولاً، لبذله ورغبة في ماله، فأجابته ووعدته ، وجاءت إلى عقال فآذته وصخبت معه ، وقالت: أي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه

وقد جاءها الغني يطرق عليها بابها؟ والله ما ندري أعروة حي أم ميت؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً ، فلم تزل به حتى قال لها: فإن عاد لي خاطباً أجبته. فوجهت إليه أن عد إليه خاطباً. فلما كان من غد نحر جزراً عدة، وأطعم ووهب وجمع الحي معه على طعامه، وفيهم أبو عفراء، فلما طعموا أعاد القول في الخطبة، فأجابه وزوجه ، وساق إليه المهر.

فلما كان الليل دخل بها زوجها، وأقام فيهم ثلاثاً، ثم ارتحل بها إلى الشام، وعمد أبوها إلى قبر عتيق، فجدده وسواه، وسأل الحي كتمان أمرها .

وقدم عروة بعد أيام، فنعاها أبوها إليه، وذهب به إلى ذلك القبر، فمكث يختلف إليه أياماً وهو مضنى هالك، حتى جاءته جارية من الحي فأخبرته الخبر ، فتركهم وركب بعض إبله، وأخذ معه زاداً ونفقة، ورحل إلى الشام فقدمها وسأل عن الرجل فأخبر به، ودل عليه، فقصده وانتسب له إلى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته، فمكث أياماً حتى أنسوا به، ثم قال لجارية لهم: " هل لك في يد تولينيها ؟ قالت: نعم، قال: تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك. فقالت : سوءة لك، أما تستحي لهذا القول؟ فأمسك عنها، ثم أعاد عليها وقال لها: ويحك! هي والله بنت عمي، وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه من الناس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحها ، فإذا أنكرت عليك فقولي لها: اصطبح ضيفك قبلك، ولعله سقط منه. فرقت الأمة وفعلت ما أمرها به.

فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته، فشهقت ، ثم قالت: اصدقيني عن الخبر، فصدقتها . فلما جاء زوجها قالت له: أتدري من ضيفك هذا ؟ قال: نعم، فلان بن فلان ، للنسب الذي انتسب له عروة، فقالت: كلا والله يا هذا، بل هو عروة بن حزام ابن عمي، وقد كتم نفسه حياءً منك.

وقال عمر بن شبة في خبره: بل جاء ابن عم له فقال: أتركتم هذا الكلب الذي قد نزل بكم هكذا في داركم يفضحكم؟ فقال له : ومن تعني؟ قال: عروة بن حزام العذري ضيفك هذا، قال: أوإنه لعروة؟ بل أنت والله الكلب، وهو الكريم القريب.

قالوا جميعاً: ثم بعث إليه فدعاه، وعاتبه على كتمانه نفسه إياه ، وقال له: بالرحب والسعة، نشدتك الله إن رمت هذا المكان أبداً، وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان . وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما، وإعادة ما تسمعه منهما عليه، فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق، فطالت الشكوى، وهو يبكي أحر بكاء، ثم أتته بشراب وسألته أن يشربه، فقال: والله ما دخل جوفي حرام قط، ولا ارتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً لكن قد استحللته منك، فأنت حظي من الدنيا، وقد ذهبت مني، وذهبت بعدك فما أعيش! وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن، وأنا مستحيى منه، ووالله لا أقيم بعد علمه مكاني ، وإني عالم أني أرحل إلى منيتي. فبكت وبكى، وانصرف.

فلما جاء زوجه أخبرته الخادم بما دار بينهما ، فقال: يا عفراء، امنعي ابن عمك من الخروج، فقالت: لا يمتنع، هو والله أكرم وأشد حياءً من أن يقيم بعد ما جرى بينكما، فدعاه وقال له: يا أخي ، أتق الله في نفسك، فقد عرفت خبرك، وإنك إن رحلت تلفت، ووالله لا أمنعك من الاجتماع معها أبداً ، ولئن شئت لأفارقنها ولأنزلن عنها لك. فجزاه خيراً، وأثنى عليه، وقال: إنما كان الطمع فيها آفتي، والآن قد يئست، وقد حملت نفسي على اليأس والصبر، فإن اليأس يسلي ، ولي أمور، ولا بد لي من رجوعي إليها، فإن وجدت من نفسي قوة على ذلك، وإلا رجعت إليكم وزرتكم، حتى يقضي الله من أمري ما يشاء. فزودوه وأكرموه وشيعوه، فانصرف . فلما رحل عنهم نكس بعد صلاحه وتماثله، وأصابه غشي وخفقان؛ فكان كلما أغمي عليه ألقي على وجهه خمار لعفراء زودته إياه؛ فيفيق. فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال".

وبلغ عفراء خبره، فقامت لزوجها فقالت: يا هناء، قد كان من خبر ابن عمي ما كان بلغك، ووالله ما عرفت منه قط إلا الحسن الجميل، وقد مات في وبسببي، ولابد لي من أن أندبه وأقيم مأتماً عليه . قال: افعلي. فما زالت تندبه ثلاثاً، حتى توفيت في اليوم الرابع.

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني

الديوان

وإنّي لتعروني لذكراكِ رعدةٌ

وإنّي لتعروني لذكراكِ رعدةٌ

لها بين جسمي والعظامِ دبيبُ

وما هوَ إلاّ أن أراها فجاءةً

فَأُبْهَتُ حتى مَا أكَادُ أُجِيبُ

وأُصرفُ عن رأيي الّذي كنتُ أرتئي

وأنْسى الّذي حُدِّثتُ ثُمَّ تَغِيبُ

وَيُظْهِرُ قَلْبي عُذْرَهَا وَيُعينها

عَلَيَّ فَمَا لِي فِي الفُؤاد نَصِيبُ

وقدْ علمتْ نفسي مكانَ شفائها

قَريباً وهل ما لا يُنَال قَريبُ

حَلَفْتُ بِرَكْبِ الرّاكعين لِرَبِّهِمْ

خشوعاً وفوقَ الرّاكعينَ رقيبُ

لئنْ كانَ بردُ الماءِ عطشانَ صادياً

إليَّ حبيباً، إنّها لحبيبُ

وَقُلْتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ داوني

فَإنَّكَ إنْ أبْرَأتَني لطبيبُ

فما بي من سقمٍ ولا طيفِ جنّةٍ

ولكنَّ عَمِّي الحِمْيَرِيَّ كَذُوبُ

عشيّةَ لا عفراءُ دانٍ ضرارها

فَتُرْجَى ولا عفراءُ مِنْكَ قَريبُ

فلستُ برائي الشّمس إلا ذكرتها

وآلَ إليَّ منْ هواكِ نصيبُ

ولا تُذكَرُ الأهْواءُ إلاّ ذكرتُها

ولا البُخْلُ إلا قُلْتُ سوف تُثِيبُ

وآخرُ عهدي منْ عفيراءَ أنّها

تُدِير بَنَاناً كُلَّهُنَّ خَضيبُ

عشيّةَ لا أقضي لنفسي حاجةً

ولم أدرِ إنْ نوديتُ كيفَ أجيبُ

عشيّة لا خلفي مكرٌّ ولا الهوى

أمَامي ولا يَهْوى هَوايَ غَرِيبُ

فواللهِ لا أنساكِ ما هبّتِ الصّبا

وما غقبتها في الرّياح جنوبُ

فَوَا كَبِدًا أمْسَتْ رُفَاتاً كَأَنَّمَا

يُلَذِّعُهَا بِالمَوْقِدَاتِ طَبِيبُ

بِنَا من جَوى الأحْزَانِ فِي الصّدْرِ لَوْعَةٌ

تكادُ لها نفس الشّفيق تذوبُ

ولكنَّما أبْقَى حُشَاشَةَ مُقْوِلٍ

على ما بِهِ عُودٌ هناك صليبُ

وما عَجَبِي مَوْتُ المُحِبِّينَ في الهوى

ولكنْ بقاءُ العاشقينَ عجيبُ

وأحبسُ عنكِ النّفسَ والنّفسُ صبّةٌ

وأحبسُ عنكِ النّفسَ والنّفسُ صبّةٌ

بِذِكْراكَ وَالممشى إليكَ قَرِيبُ

مخافةَ أن يسعى الوشاةُ بظنّةٍ

وَأحْرسُكُمْ أنْ يسْتريب مُريبُ

ألاَ لا تَلُوما ليس فِي اللَّوْمِ رَاحةٌ

ألاَ لا تَلُوما ليس فِي اللَّوْمِ رَاحةٌ

فقد لُمْتُ نَفْسِي مِثْلَ لَوْمِ قَضِيبُ

وكم مِن كريمٍ قد أضَرَّ بِهِ الهوى

وكم مِن كريمٍ قد أضَرَّ بِهِ الهوى

فَعَوَّدَه ما لمْ يَكُن يَتَعَوَّدُ

يا عفرُ إنَّ الحيَّ قد نقضوا

يا عفرُ إنَّ الحيَّ قد نقضوا

عهدَ الإلهِ وحاولوا الغدرا

منْ كانَ منْ أخواتي باكياً أبداً

منْ كانَ منْ أخواتي باكياً أبداً

فَاليومَ إنِّي أرانِي اليومَ مَقْبُوضاً

يسمعنني فإنّي غيرُ سامعهِ

إذَا عَلَوْتُ رقابَ القوم مَعْروضاً

أمُنْصَدِعٌ قلبي مِنَ البَيْنِ كُلَّمَا

أمُنْصَدِعٌ قَلبي مِنَ البَيْنِ كُلَّمَا

تَرَنَّمَ هَدّالُ الحَمَامِ الهواتفِ

سَجَعْنَ بِلَحْنٍ يَصْدَعُ القلبَ شَجْوُهُ

على غير عِلْمٍ بافترَاقِ الأليفِ

ولو نِلْتُ منها ما يُوازَن بالقَذَى

شفى كلَّ داءٍ في فؤادي حالفِ

أحقاً يا حمامةَ بطن وجٍّ

أحقاً يا حمامةَ بطن وجٍّ

بهذا النّوح إنَّكِ تصدُقينا

غلبتُكِ بالبُكَاءِ لأنَّ لَيْلِي

أواصلهُ وإنّكِ تهجعينا

وَإنِّي إنْ بَكَيْتُ حقاً

وإنّكِ في بكائكِ تكذبينا

فلستِ وإنْ بكيتِ أشدَّ شوقاً

ولكنِّي أسرُّ وتعلنينا

فَنُوحِي يَا حمَامةَ بطن وَجٍّ

فقدْ هيّجتِ مشتاقاً حزينا

خليليَّ منْ عليا هلالِ بن عامرِ

خليليَّ منْ عليا هلالِ بن عامرِ

بصَنْعَاءِ عوجا اليومَ وانتظراني

ألم تَحْلِفا بِالله أنِّي أخُوكُمَا

فلمْ تفعلا ما يفعلُ الأخوانِ

ولم تَحْلِفا بالله قدْ عَرَفْتُمَا

بذي الشِّيح رَبْعاً ثُمَّ لا تَقِفَانِ

ولا تَزْهدا في الذُّخْرِ عندي وَأَجْمِلاَ

فَإِنَّكُمَا بيْ اليومَ مبتَلِيَانِ

أَلَمْ تَعْلَمَا أنْ لَيْسَ بالمَرْحِ كُلِّهِ

أخٌ وصدِيقٌ صالحٌ فَذَراني

أفي كلِّ يومٍ أنتَ رامٍ بلادها

بعَيْنَيْنِ إنساناهما غَرقَانِ

وعيناىَ ما أوفيتُ نشزاً فتنظرا

بمَأقَيْهما إلاَّ هما تَكِفَانِ

ألاَ فَاحْمِلاَنِي بارَكَ الله فِيكُما

إلَى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

على جسرةِ الأصلابِ ناجيةِ السُّرى

تُقَطِّعُ عَرْضَ البيدِ بالوَخَذَانِ

إذا جبنَ موماةً عرضنَ لمثلها

جَنَادِبُها صَرْعى من الوَخَدَانِ

ولا تعذلاني في الغواني فإنّني

أرَى فِي الغواني غَيْرَ ما تَرَيَانِ

إلمّا على العفراءِ أنّكما غداً

وَمَنْ حَلِيتْ عَيني به ولساني

فيا واشِيَيْ عفرا دعاني ونظرةً

تقرُّ بها عيناىَ ثمَّ دعاني

أغَرَّكما لا بَارَكَ الله فيكما

قميصٌ وَبُرْدا يَمنةٍ زَهَوان

متى تكشفا عنِّي القميصَ تَبَيَّنا

بيَ الضُّرَّ من عَفْراء يا فَتَيَان

وَتَعْتَرفَا لحْماً قليلاً وَأعْظُماً

دِقَاقاً وَقَلْباً دائمَ الخَفَقان

على كبدي منْ حبِّ عفراءَ قرحةٌ

وعيناياَ منْ وجدٍ بها تكِفان

فعفراءُ أرجى النّاسُ عندي مودّةً

وعفراء عنّي المُعْرِضُ المتواني

أُحِبُ ابْنَةَ العُذْرِيِّ حُباً وَإنْ نَأتْ

وَدانَيْتُ فيها غيرَ ما مُتَدان

إذا رَامَ قلبي هَجْرَهَا حالَ دونَه

شَفِيعان من قَلْبي لها جَدِلان

إذا قلتُ لا قالا: بلي، ثمَّ أصْبَحَا

جَمِعياً على الرَّأي الذي يَرَيان

فيا ربِّ أنتَ المستعانُ على الّذي

تحمّلتُ منْ عفراءَ منذُ زمان

فيا ليتَ كلَّ اثنين بينهما هوىً

منَ النّاس والأنعامِ يلتقيان

فَيَقْضِي مُحِبٌّ مِن حَبيبٍ لُبَانةً

ويرعاهما ربّي فلا يُريان

أمامي هوىً لا نومَ دونَ لِقَائِهِ

وَخَلْفِي هوىً قد شقَّني وبَرَاني

فمنْ يكُ لم يغرضْ فإنّي وناقتي

بحَجْرٍ إلى أهْلِ الحِمى غَرَضان

تحنُّ فتبدي ما بها منْ صبابةٍ

وأخفي الّذي لولا الأسى لقضاني

هوى ناقتي خَلْفِي وقُدَّامي الهوى

وَإنّي وَإيَّاهَا لَمُخْتَلِفَان

هوايَ عراقيٌّ وتثني زمامها

لبرقٍ إذا لاحَ النجومُ يمان

هوايَ أمامي ليسَ خلفي معرَّجٌ

وشوق قَلوصي في الغُدُو يمان

لعمري إنّي يومَ بصرى وناقتي

لَمُخْتَلِفَا الأهْواءِ مُصْطَحَبان

فَلَوْ تَرَكَتْنِي ناقتي من حَنِينَها

وما بي منْ وجدٍ إذاً لكفاني

متى تَجْمعي شوقي وشوقَكِ تُفْدحي

وما لكِ بالْعِبْءِ الثَّقِيلِ يَدَان

يا كبدينا منْ مخافةِ لوعةِ

الفراق ومنْ صرفِ النّوى تجفان

وإذْ نحن منْ أنْ تشحطَ الدّارُ غربةً

وإنْ شقَّ البينُ للعصا وجلان

يقولُ ليَ الأصحابُ إذ يعذلونني

أشَوْقٌ عِراقيٌّ وَأنْتَ يَمَان

وليسَ يَمانٍ للعِراقيْ بصَاحِبٍ

عسى في صُرُوفِ الدَّهْرِ يَلْتَقِيان

تحمّلتُ منْ عفراءَ ما ليسَ لي بهِ

ولا للجبال الرّاسياتِ يدان

كَأنَّ قَطاةٌ عُلِّقَتْ بِجَناحَهَا

على كبدي منْ شدّةِ الخفقان

جعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حكمهُ

وَعَرّافِ حَجْرٍ إنْ هما شَفيانِي

فَقالاً: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ

وقاما مع العُوَّادِ يُبتَدَران

ودانَيْتُ فيها المُعْرِضُ المُتَوَانِي

لِيَسْتَخْبرانِي. قُلْتُ: منذ زمان

فما تركا من رُقْيَةٍ يَعْلمانِها

ولا شُرْبَةٍ إلاَّ وقد سَقَيَانِي

فما شفا الدّاءَ الّذي بي كلُّهُ

وما ذَخَرَا نُصْحاً، ولا أَلوانِي

فقالا: شفاكَ اللهُ، واللهِ ما لنا

بما ضُمِّنَتْ منكَ الضُّلُوعُ يَدَان

فرُحْتُ مِنَ العَرّافِ تسقُطُ عِمَّتِي

عَن الرَّأس ما ألتاثُها بيَدَان

معي صاحبا صِدْقٍ إذا مِلْتُ مَيْلَةً

وكانَ بدقّتي نضوتي عدلاني

ألا أيّها العرّافُ هل أنتَ بائعي

مكانكَ يوماً واحداً بمكاني؟

أَلسْتَ تراني، لا رأيْتَ، وأمْسَكَتْ

بسمعكَ روعاتٌ منَ الحدثانِ

فيا عمٌ يا ذا الغَدْرِ لا زلْتَ مُبْتَلىً

حليفاً لهمٍّ لازمٍ وهوانِ

غدرتَ وكانَ الغدرُ منكَ سجيّةً

فَألْزَمْتَ قلبي دائمَ الخفقانِ

وأورثتني غمّاً وكرباً وحسرةً

وأورثتَ عيني دائمَ الهملانِ

فلا زلْتَ ذا شوقٍ إلى مَنْ هويتهُ

وقلبكَ مقسومٌ بكُلِّ مكانِ

وإنّي لأهوى الحشرَ إذ قيلَ إنّني

وعفراءَ يوْمَ الحَشْرِ مُلْتَقِيَانِ

وَإنَّا على ما يَزْعُمُ النّاسُ بَيْنَنَا

مِنَ الحبِّ يا عفرا لَمُهْتَجِران

تحدّثَ أصحابي حديثاً سمعتهُ

ضُحَيّاً وَأعْنَاقُ المَطِيِّ ثَوانِ

فقلتُ لهم: كلاّ. وقالوا. جماعةً

بلى ، والذي يُدْعى بكلِّ مكانِ

ألا يا غرابيّ دمنةِ الدّارِ بيّنا

أبَا الصَّرْمِ من عفراءَ تَنتحبانِ؟

فَإنْ كَانَ حقاً ما تقُولأن فاذهبا

بلحمي إلى وكريكما فكلاني

إذَنْ تَحْمِلاً لَحْماً قَلِيلاً وَأعْظُماً

دِقَاقاً وقَلْباً دائمَ الخفَقَانِ

كُلاَني أكْلاً لَم يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ

ولا تهضما جنبيَّ وازدرداني

ولا يعلمنَّ النّاسُ ما كانَ ميتتي

ولا يَطْعَمَنَّ الطَّيْرُ ما تَذْرَان

أَنَاسِيَةٌ عَفْراءُ ذكريَ بَعْدَما

تركتُ لها ذِكْرا بكُلِّ مَكَانِ

ألا لعنَ اللهُ الوشاةَ وقولهمْ

فُلاَنَةُ أمْسَتْ خُلَّةٌ لِفُلاَن

فَوَيْحَكُمَا يا واشِيَيُ أمٍّ هَيْثَمٍ

ففيمَ إلى منْ جئتما تشيان؟

ألا أيّها الواشي بعفراءَ عندنا

عَدِمْتُكَ مِنْ واشٍ ألَسْتَ ترانِي؟

ألَسْتَ ترى لِلْحُبِّ كيف تَخلَّلتْ

عناجيجهُ جسمي، وكيفَ براني؟

لو أنَّ طبيبَ الإنسِ والجنِّ داوياً

الذي بيَ منْ عفراءَ ما شفياني

إذا ما جلسنا مجلساً نستلذّهُ

تَواشَوا بنَا حتى أمَلَّ مكاني

تكنّفني الواشونَ منْ كلِّ جانبٍ

ولو كانَ واشٍ واحدٍ لكفاني

ولو كانَ واشٍ باليمامةِ دارهُ

وداري بأعْلى حَضْرَمُوت أتَانِي

فَيَا حَبَّذَا مَنْ دونَهُ تَعْذِلونَنِي

ومنْ حليتْ بهِ عيني ولساني

ومنْ لو أراهُ في العدوِّ أتيتهُ

وَمَنْ لو رآنِي في العَدُوِّ أتَانِي

ومنْ لو أراهُ صادياً لسقيتهُ

ومَنْ لو يرَانِي صادياً لَسَقَانِي

ومنْ لو أراهُ عانياً لكفيتهُ

ومَنْ لوْ يَرانِي عانِياً لَكَفَانِي

ومنْ هابني في كلِّ أمرٍ وهبتهُ

ولو كنتُ أمضي منْ شباةِ سنانِ

يُكَلِّفُنِي عَمِّي ثمانين بَكْرَةً

ومالي يا عفراءُ غيرُ ثمانِ

ثمانٍ يُقَطِّعْنَ الأزِمَّةِ بالبُرى

ويقطعنَ عرضَ البيدِ بالوخدانِ

فيا ليتَ عمّي يومَ فرّقَ بيننا

سُقِيْ السُّمَّ ممزوجاً بِشَبٍّ يَمانِ

بنيّةُ عمّي حيلَ بيني وبينها

وضجَّ لِوَشْكِ الفُرْقَةِ الصُّرَدانِ

فيا ليتَ محيّانا جميعاً وليتنا

إذا نحنُ متنا ضمّنا كفنانِ

ويا ليت أنَّا الدَّهْرَ في غيرِ ريبةٍ

بعيرانِ نرعى القفرَ مؤتلفانِ

يُطَرِّدُنا الرُّعْيَانُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ

يقولونَ بَكّرا عُرَّةٍ جَربَانِ

فواللهِ ما حدّثتُ سرّكِ صاحباً

أخاً لِي ولا فَاهَتْ بِهِ الشَّفَتَانِ

سِوى أنَّنِي قد قُلتُ يوماً لِصَاحبي

ضُحىً وقَلوصانا بنا تَخِدَانِ

ضُحَيّاً وَمَسَّتْنَا جَنوبٌ ضَعيفةٌ

نسيمٌ لريّاها بنا خفقانِ

تحمّلتُ زفراتِ الضّحى فأطقتها

وما لي بزفراتِ العشيِّ يدانِ

فيا عَمِّ لا أُسْقِيتَ من ذي قَرابَةٍ

بلالاً فقدْ زلّتْ بكَ القدمانِ

فأنتَ ولم ينفعكَ فرّقتَ بيننا

ونحنُ جمعٌ شعبنا متدانِ

وَمَنَّيْتَنِي عَفْراء حتى رَجَوْتُها

وشاعَ الذي مَنَّيْتَ كُلَّ مكانِ

منعّمةٌ لمْ يأتْ بينَ شبابها

ولا عَهْدِها بالنَّدْيِ غيرُ ثَمانِ

ترى بُرَتَيْ سِتٍّ وستّين وافياً

تهابانِ ساقيها فتنفصمانِ

فواللهِ لولا حبُّ عفراءَ ما التقى

عليَّ رواقا بيتكِ الخلِقانِ

خُلَيْقان هَلْهالان لا خَيْرَ فيهما

إذَا هَبَّتِ الأرْواحُ يَصْطَفِقَانِ

رواقانِ تهوي الرّيحُ فوقَ ذراهما

وباللّيْلِ يسري فيهما اليَرقانِ

ولم أتْبَعِ الأظْعَانَ فهي رَوْنَقِ الضُّحَى

ورحلي على نهّاضةِ الخديانِ

ولا خَطَرَتْ عَنْسٌ بأغْبَرَ نازحٍ

ولا ما نحتْ عيناىَ في الهملانِ

كَأنَّهُمَا هَزْمَانِ من مُسْتَشِنَّةٍ

يُسْدانِ أحْيَاناً وَيَنْفَجِرانِ

أرى طائريَّ الأوّلينِ تبدّلا

إليَّ فما لي منهما بَدَلانِ

أحَصّانِ من نَحْوِ الأسَافِلِ جُرِّدا

ألفّانِ مِنْ أعلاهما هَدِيانِ

لِعَفْراءَ إذْ في الدَّهرِ والنَّاسِ غَرَّةٌ

وَإذْ حُلُقَانَا بالصِّبَا يَسَرانِ

لأدنُو مِنْ بيضاءَ خَفَّاقَةِ الحشا

بنيّةِ ذي قاذورةٍ شنآنِ

كأنَّ وشاحيها إذا ما ارتدتهما

وقامتْ عِنانا مُهْرَةٍ سَلِسَانِ

يَعَضُّ بَأبْدَانِ لها مُلْتَقَاهما

ومثناهما رخوانِ يضطربانِ

وتحتهما حقفانِ قدْ ضربتهما

قطارٌ منَ الجوزاءِ ملتبدانِ

أعَفْراءُ كم مِنْ زَفْرَةٍ قد أذقْتِنِي

وحزنٍ ألجَّ العينَ بالهملانِ

فلو أنَّ عينيْ ذي هوىً فاضتا دماً

لفاضتْ دماً عيناىَ تبتدرانِ

فهلْ حاديا عفراءَ إنْ خفتَ فوتها

عَلَيَّ إذا نَادَيْتُ مُرعَويانِ

ضَرُوبانِ للتّالِي القطوفِ إذا وَنَى

مشيحانِ منْ بغضائنا حذرانِ

فما لكما من حادِيَيْنِ رُمِيتُما

بحمّى وطاعونٍ إلا تقفانِ؟

فما لكما من حادِيَيْنِ كُسِيتُما

سرابيلَ مُغْلاةً من القَطِرانِ

فويلي على عفراءَ ويلٌ كأنّهُ

على النَّحْرِ والأحشاءِ حَدُّ سِنَانِ

ألا حَبَّذا مِنْ حُبِّ عفراءَ مُلتقى

نَعَمْ وألا لا حيث يَلْتَقِيانِ

أحقاً عبادَ اللهِ أنْ لستُ زائراً

عفيراءَ إلا والوليدُ يراني

لَوْ أنَّ النَّاسِ وَجْدا وَمِثْلَهُ

مِنَ الجنِّ بعد الإنس يلتقيان

فيشتكيان الوجدَ تمَّت أشتكي

لأضْعَفَ وَجْدِي فوقَ ما يَجِدانِ

وما تَرَكَتْ عفراءُ مِنْ دَنَفٍ دوىً

بِدِوْمةٍ مَطْوِيٌّ له كَفَنَانِ

فقد تَرَكْتَنِي ما أعِي لمحدِّثٍ

حديثاً وإنْ ناجيتهُ ونجاني

وقد تَرَكَتْ عفراءُ قلبي كَأَنَّهُ

جَنَاحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقَان

عجبتُ منَ القيسيِّ زيدٍ وتربهِ

عجبتُ منَ القيسيِّ زيدٍ وتربهِ

عَشِيَّةِ جوِّ الماءِ يختبرانِي

هما سألاني ما بعيران قيّدا

وشخصان بالبرقاءِ مرتبعان

هما بكرتان عائطان اشتراهما

منَ السّوق عبدا نسوةٍ غزلان

هما طرفا الخودين تحتَ دجنّةٍ

منَ اللّيل والكلبان منطويان

فَبَاتَا ضَجِيعيْ نِعْمَةٍ وَسَلامَةٍ

وسادهما منْ معصمٍ ومتان

وأصبحتا تحتَ الحجال وأصبحا

بدَوِيَّةِ يَحْدوهما حَدْيان

فما جأبهُ المدرى تروحُ وتغتدي

دُرى الطّامساتِ الفرْدِ من وَرَقان

بأنْفَع لي منها وَأَنَّى لِذاكِر

هوىً ليَ أبلى جدّتي وبراني

رَأَتْنِي حَفَافَيْ طُخْفَتَيْن فَظَلَّتَا

ترنّان ممّا بي وتصطفقان

إزَارٌ لها تحت القميص يَمَان

تَمَنَّيْتُ مِنْ وَجْدِي بِعفراءَ أنَّنَا

بعيران نرعى القفرَ مؤتلفان

ألاَ خَبِّرَانِي أيُّهَا الرّجُلاَن

عَن النّوْمِ إنَّ الشوقَ عنه عَدانِي

وكيفَ يلذُّ النّومُ أمْ كيفَ طعمهُ

صِفَا النَّومَ لي إنْ كنتما تصفان

أصلّي فأبكي في الصّلاةِ لذكرها

ليَ الويلُ ممّا يكتبُ الملكان

خَلِيلَيَّ عوجا اليومَ وانْتَظِرا غدا

علينا قليلاً إنّنا غرضان

وإنّنا غداً باليومِ رهنٌ وإنّما

مَسِيرُ غدٍ كاليومِ أوْ تَريَان

إذا رُمْتُ هِجْراناً لها حالَ دونَه

حجابان في الأحشاءِ مؤتلفان

نَذودُ بِذِكْرِ الله عَنَّا مِنَ السُّرى

نَذودُ بِذِكْرِ الله عَنَّا مِنَ السُّرى

إذا كانَ قلبانا بنا يجفان

بيَ اليأسُ أوْ داءُ الهُيَامِ شَرِبْتُهُ

بيَ اليأسُ أوْ داءُ الهُيَامِ شَرِبْتُهُ

فَإيَّاكَ عَنِّي لا يَكُنْ بكَ ما بيا

فما زادني النّاهونَ إلّا صبابةً

ولا كثرةُ الواشينَ إلّا تماديا